حرب الدعاية..

لعل مذهبا من المذاهب الأخرى لم يوجه إليه كل هذا القدر من الهجمات والافتراءات، فلقد شعرت البرجوازية المصرية أن فكرة الاشتراكية لم تكن مجرد رأى استهوى عددا من المواطنين لكنها أصبحت شيئا لا يمكن اقتلاعه.. أو كما وصفه أحمد الصاوى محمد «شوكا دق جذوره العميقة فى الأرض».

ولم تعد السجون وحدها تكفى، ولا حملات الإرهاب، ولا إجراءات منع ورود المذهب من الخارج.. فلقد دقت الجذور نفسها عميقا فى تربة مصر، ولم يعد هناك مناص من محاولات عنيفة لاقتلاع هذه الجذور..

وتماما كما شن الحكام إرهابا بشعا ضد دعاة الاشتراكية فقد شن مفكرو البرجوازية حملات تستوى معها فى البشاعة ولكن على المستوى الفكرى.

وانهالت الكتب والمقالات والدراسات تهاجم الفكرة الاشتراكية بل وفكرة المساواة من أساسها، وتبث فى عقول وقلوب المصريين أوهاما وأكاذيب حول التجربة التى كان البلاشفة يبنونها على أرض روسيا.

بل لقد تصدى بعض المفكرين البرجوازيين لمحاولة تفنيد «المذهب الاشتراكى» وتقديم

نظريات لتطوير المجتمع المصرى.. بعضها دفاع صريح عن الرأسمالية والبعض الآخر يتستر خلف محاولات إحياء النموذج الإسلامى.. إلخ.

ومن بين هؤلاء الذين شغلوا أنفسهم كثيرا بقضية «تفنيد المذهب الاشتراكى» إسماعيل مظهر الذى أصدر كتيبا بعنوان «الاشتراكية.. تعوق ارتقاء النوع الإنسانى»[١].

ويبدأ إسماعيل مظهر محاولته قائلا: «نسمع بين آونة وأخرى صدى الاشتراكية يرن فى آذاننا فى أنحاء مصر، فنشفق أن يكون من أثر ذلك أن تدلف بعض الجماعات فى تلك السبيل بقدمها مأخوذة بمزينات تلك المبادئ الخيالية، دون الوقوف على حقائقها العلمية والاقتصادية ومرتكزها الفلسفى وآثارها الاجتماعية.

والحق أن كلمة المساواة التى تقوم عليها المبادئ الاشتراكية الشيوعية كافة، لتأخذ بالروع وتستهوى الأنفس كما تستهويها كلمات الشرف والفضيلة»[٢].

ثم يمضى إسماعيل مظهر مهاجما فكرة المساواة ذاتها: «إن ما تدعو إليه الاشتراكية من المساواة مناقض فى ذاته لحقائق الكون الأولية. مضاد لحرية الفرد وتمتعه بمزاياه ومواهبه التى وهبته إياها الطبيعة»[٣].

...«وليس فى العالم من شىء أبعد عن العدل والحرية أكثر تناقضا مع بديهة العقل من التسوية بين غير المتساوين»[٤].

ثم ينحنى إسماعيل مظهر ليهاجم التجربة السوفييتية، ولقد مثل هذا الهجوم محور نشاط كل أعداء الاشتراكية؛ ذلك أن هدم النموذج الذى بنته الثورة الاشتراكية - فى العقول - هو السبيل لهدم فكرة الاشتراكية ذاتها.. «إن محصل ما وقع فى روسيا السوفييتية هو أنه قام فى روسيا حكم الاستبداد العسكرى الشيوعى مقام الحكم القيصرى المستبد تحت طلاء من المساواة المفروضة الواقعة بالفعل. ولا يستطيع باحث اجتماعى أن يقضى فى حالة روسيا القائمة اليوم بحكم فيه شىء من روح اليقين قبل أن تنجلى غمرة الدماء التى تجتازها روسيا، وقبل أن تستقر المدنية على أساس ثابت، وقبل أن ينقشع عن أفقها غيهب المجاعات التى تكاد تفنيها وتذهب بريحها»[٥].

ويحاول بعد ذلك أن يقدم انتقاده لكثير من جوانب الفكر الماركسى فيهاجم المادية التاريخية - وينتقد موقف الماركسية من الحرب، وموقفها من الدين، لكنه لا يلبث أن يكشف القناع عن نفسه تماما فيدافع عن الرأسمالية. «إن الفكرة القائمة على أن رأس

المال أصل الشرور الاجتماعية كلها، غير صحيحة وإن كان لرأس المال كما هو موضوع اليوم ضلعه ونصيبه منها، وإن كان نصيبا ضئيلا تافها»[٦].

بل هو يمعن فى موقفه فيتشبث بالنظام القائم فى مصر فى ذلك الحين: «إن البقاء على ما نحن فيه خير من استبدال نظام موروث بنظام موضوع، لا نعلم من أمره إلا تجربة مرة وقعت فى ناحية من نواحى الأرض سفكت فى سبيلها الدماء، وضحى لها رؤساء الدين قربانا لصنم المساواة، وعبث من أجلها بأخص ما يمتاز به الإنسان عن الحيوان من المبادئ القويمة الخالدة، مبادئ الرحمة والعدل والحرية وما إليها»[٧].

والغريب بعد ذلك كله أن إسماعيل مظهر لا يلبث أن يقوم بمحاولته لتأسيس «حزب للفلاح» ويعد لهذا الحزب برنامجا مطولا سنحاول مناقشته فى فصل قادم لكننا نكتفى هنا بالإشارة إلى أنه قد رفع هذا البرنامج إلى زعيم الأمة مصطفى النحاس وفى النهاية وضع توقيعه تحت عبارة «خادمكم المطيع»[٨].

وثمة محاولات أخرى عديدة لتفنيد وانتقاد المذهب الاشتراكى.. من بينها كتاب السيد محمد عفيفى البقلى المحامى[٩]، ولقد قدم البقلى فى محاولته هذه مجلدا ضخما حاول أن ينتقد فيه تفصيلا كل المذاهب الاشتراكية، وإن كان قد ركز أساسا على النظرية الماركسية وعلى نظرية القيمة بشكل خاص.. ويخلص من هجومه إلى النتيجة التالية «أن هذا المذهب [يقصد المذهب الاشتراكى] مهما تنوعت مبادئه فى الشدة والضعف، ومهما تنوعت أسماؤه تبعا للمغالاة فى المطالب وفى السعى لقلب النظام الاجتماعى الاقتصادى أى لو كان اشتراكيا بسيطا أو متضامنا، أو شيوعيا أو فوضويا، فإنه يذهب إلى أن القواعد الطبيعية غير قابلة للبقاء وأساسه الاعتراض على الملكية الفردية التى يقول عنها بأنها معيبة فى تكوينها وفاسدة ويجب لغوها واستبدالها بالملكية المشتركة أو الشيوعية»[١٠].

هو إذن يضع كل المذاهب الاشتراكية فى كفة واحدة ويشن عليها هجومه.. قائلا: «إن الذى يظهر الثروة فى بعض الدول، أن عدد الأغنياء قليل والفقراء كثير.. ومن هنا يتضح جليا خطأ الاشتراكيين حيث يزعمون بأن فى سلب الأغنياء أموالهم وتوزيعها بالعدل بينهم وبين الفقراء يصبح جميع الأفراد أغنياء، وهذا وهم لا محل لاعتباره مطلقا ونظرية فاسدة لا تحل مشكلة»[١١].

ولا يكتفى البقلى بالهجوم على الاشتراكية لكنه يدافع بصراحة غريبة عن الملكية الفردية قائلا: «وعليه فكل وسيلة تتخذ لتكون عقبة فى سبيل الملكية الفردية والمجهود الشخصى مقضى عليها بالفشل»[١٢].

ويقول: «ومن ذلك وجب علينا أن ندافع عن الملكية العقارية لأهميتها للمجتمع الإنسانى لأنها هى رأس الإنتاج والتى عليها قضاء حاجات الغذاء. والذى يهم الاقتصاد هو أن تزيد الغلة بقدر المستطاع لأن المساحة محدودة ولا وسيلة للوصول إلى هذه الغاية إلا بالدفاع عن الملكية العقارية الفردية والقول بأنها لم تكن مؤسسة فقط على حق طبيعى بل وعلى حق مدنى وعلى العدل المطلق وعلى المنفعة العامة وإذا سلمنا بأن المجتمع هو صاحب الحق على الأرض فليس له نظرا للمصلحة العمومية المشتركة بين المخلوقات إلا أن ينتدب عنه فى حقه من يقوم مقامه ويستطيع أن يستخرج من الأرض أكبر فائدة. ولهذه اللحظة لم نجد إلا الأفراد الذين يختصون بالملكية هم القادرون دون غيرهم على تحقيق هذه الغاية»(١٣).

بل هو يحاول جهده تثبيت الظلم الاجتماعى الذى كانت ترسف فيه مصر قائلا: «ولذلك ولجميع الأسباب المتقدمة والانتقادات المختلفة التى لا طائل تحتها نلتزم بقبول الحالة الحاضرة عن طيب خاطر، إذ ليس فى مقدورنا أن نغير القوانين الطبيعية.. وإنما نجتهد بتلطيف عيوبها بواسطة الشركات وبتداخل الدولة بسن القوانين واللوائح اللازمة لذلك»(١٤).

ثم يختتم دفاعه عن الرأسمالية بعبارة قاطعة: «... وإذا كان لا محل من التظلم من الحالة الحاضرة ويجب قبولها بعلاتها، فأحسن حل الرضا بالحالة الحاضرة»(١٥).

لكنا نشهد للبقلى بأنه كان برجوازيا مصريا.. بمعنى أنه أدرك بوعيه الطبقى أن الخطر لا يأتى من الاشتراكية وحدها.. وإنما يأتى أيضا من الاحتكارات الأجنبية التى تحدث عنها قائلا أنها: «تخلق تضامنا مزيفا فاسدا لأن التضامن الصحيح يترتب عليه الاشتراك فى السراء والضراء. وبمقتضاه إن عم الخير وجب أن يأخذ كل فرد منه حظه»(١٦).

«... إن عم الخير وجب أن يأخذ كل فرد منه حظه» إنها عبارة غريبة على هذه الدراسة التى تستند أساسا على محاولة هدم فكرة المساواة.. لكن البرجوازية كانت تحارب فى جبهتين، فهى تخشى الاشتراكية.. وهى ترى أيضا منابع الثراء الوفير تنساب إلى جيوب الأجانب فتطالب بنصيبها منه..

ولسوف نكتفى بهذه الأمثلة برغم وجود محاولات أخرى عديدة لعل من أهمها كتاب (كميل فلامريون) «على أطلال المذهب المادى» وكتاب (قسطاكى أنيس عطاره) «تاريخ تكوين الصحف المصرية»... إلخ. لكننا قلنا منذ البداية إننا سنحاول فقط أن نقدم «ملامح» لصورة العصر الذى نتصدى للحديث عنه..

فلننتقل إذن إلى مجال الصحافة، والمحاولة هنا صعبة للغاية، المقالات التى تهاجم الاشتراكية لا يمكن حصرها.. ولنحاول أن نستعرض هنا بعضا منها..

«إن الطبيعة لا تأذن بأن يتساوى أفراد البشر مهما بذل الاشتراكيون المتطرفون من السعى لتحقيق فكرتهم الزائفة. فوجود الخلاف بين الأفراد والطبقات ضرورى للعمران، ولا يمكن الاستغناء عنه بوجه من الوجوه. فاختلاف الطبقات هو المسن الذى يشحذ العزائم ويستفز مطامح البشر..»

ثم تختتم «مجلة كل شىء» افتتاحيتها قائلة: «إلا أنها لحكمة بالغة أن تكون أنت كما أنت وأنا كما أنا، فالشكوى من هذه الحال لا تستند إلى شىء من الحق»[١٧].

هذه هى الحكمة البالغة التى حاولت البرجوازية أن تغرسها فى العقول..

ويسهم أحمد الصاوى محمد فى المعركة هو أيضا بمقالات عديدة أحدها بعنوان «على أطلال المذهب الشيوعى» جاء فيه: «فى هذه الأيام كثر لغط مكاتبى الصحف الأجنبية بالقاهرة عن وجود حركة شيوعية بهذا البلد الأمين. ونحن لا نعرف مبلغ هذا القول من الصحة وقربه أو بعده عن الحقيقة. لكنا نعرف أن بعض أصحاب عقول الذباب وأحلام العصافير قد سولت لهم أنفسهم أمرا فجنوا شيئا غير قليل على أنفسهم وأهليهم وسمعة بلادهم.

ولعهد قريب طالع الناس رسالة مكاتب الأهرام الفاضل بمدينة الإسكندرية عن «عائلة شيوعى فى السجن» ورأوا الدموع التى أراقتها تلك المرأة المسكينة جليلة السيد زوجة الشحات إبراهيم. هذا الرجل الذى كان على ما أذكر عاملا صغيرا من عمال مصلحة سكة الحديد بالزقازيق يعيش مع زوجته وأطفاله فى أمان الله. لكن سعاة الشر منبثون لسوء الحظ فى كل مكان..

وقد وصل شرهم من موسكو حتى مسكن الشحات إبراهيم عامل الدريسة بمدينة الزقازيق فأصبح المفتون شيوعيا.. أى أن شحاتنا صار رفيقا للينين وتروتسكى وزينوفيف وبربوس.

فأف!! كيف لشحاتنا أن يفهم ماهية الشيوعية هذه التى أكاد أوقن أن القائمين بأمرها ونشرها لا يكادون هم أنفسهم يفهمونها!!

أى عقل يمكن أن يفهم ويهضم فهم الفوضى التى تقضى على النظام الإلهى الذى سنته طبيعة الكون والعمار للعالم منذ بدء الدهور..

فهل تفهم جليلة زوجة الشحات إبراهيم أن نظام الشيوعية يقضى بحرمانها من أولادها ويقضى بوضعهم فى الملاجئ ويقضى عليها بأن تشتغل طوال أيامها لا فى أشغال بيتها والعناية بأبنائها بل فى مصانع الحكومة لتأخذ تذكرة تأكل بها فى مطعم عمومى فى حين يكون زوجها أيضا يدأب ويعانى للحصول على تذكرة أخرى لنفسه؟

فالشيوعية تضيع سعادة البيت وتقتل حب المرأة، حب الزوجة، حب الأم..

فهى عدوة الأسرة وعدوة الأمة وعدوة الله، أى والله..

والشيوعية ليست سماء تمطر ذهبا أو فضة كما يخيل للذين يغريهم صدى الذهب الروسى المزيف، بل إن الشيوعية ليست سماء تمطر أرغفة وفراخا مكتفة.

وإليك مثل ابن الشحات إبراهيم فقد يكون مريضا بالحصبة أو بالحمى ولا تستطيع المسكينة أمه ترك عملها لتذهب لرؤيته بينما يكون الطفل العاثر الجد فى أيد غريبة عنه وليس بصدور أصحابها ذرة من الحب الحقيقى العميق المهول المدهش الذى لا حد له وقد أودعه الله قلب امرأة واحدة هى الأم.

والنظام الذى يقصى الأم عن ابنها وزوجها، كما يقصى الزوج ويشرد الأطفال ويمحو القومية ويهدم الدين لهو نظام فاسد، بل كيف يكون نظاما وليس فيه من النظام أى شىء؟ ..

ثم يواصل أحمد الصاوى محمد مقاله متنقلا إلى موضوع آخر: «.. أما والشىء بالشىء يذكر فإن لهذه الصحيفة أن تفخر بأنها أول من تصدى لمحاربة تلك الطائفة الخاطئة التى كان يحمل علمها الأحمر القانى ذلك الشيوعى التائه روزنتال، لكن روزنتال رماهم بدائه وانسل.. رجل لبق زرع الشوك وأنبته ولم يجمعه بل إنه ترك الحصاد لأبناء من وطننا السذج مثل الشحات إبراهيم وزملائه فراحوا ضحاياه وها أنت تراهم الآن فى غياهب السجن وهو حر طليق».

ثم يختتم أحمد الصاوى محمد مقاله الذى أختار لنشره يوم أول مايو - محرضا الحكومة مطالبا بمزيد من العنف: «فلنؤمل من حكومتنا الموقرة السهر واليقظة المضاعفين للضرب بالحديد على أيدى دعاة البغى والفوضى فى البلاد ولنؤمل من وزارة معارفها الجليلة العناية بتقرير التعليم الدينى وتربية الأخلاق فى المدارس»[٨].

ولقد تعمدت أن أستطرد فى عرض هذا المقال، فهو وحده كاف لعرض المحتوى الفكرى والمنطلقات الأساسية لحملة العداء التى شنتها الطبقات المصرية الحاكمة.

بل إن كتابا من أمثال سلامة موسى قد تورطوا هم أيضا فى حملات كهذه، فتحت عنوان «الفاشية والشيوعية» يكتب سلامة موسى فى مجلته الجديدة:

«تمثل الفاشية والشيوعية الطرفين للغلو السياسى فى أوروبا الآن. فالفاشية غلو المحافظين والشيوعية هى غلو الاشتراكيين. ومع أنهما طرفان خصمان فكلاهما يسير على وتيرة واحدة هى الغصب بدل الرفق، والالتجاء إلى القوة بدلا من الالتجاء إلى القوانين وكلاهما لهذا السبب خطر على الأمن العام، ومن مصلحة الأحزاب المعتدلة، الاشتراكيين والمحافظين والأحرار أن يقاطعوا الطرق التى يلجأ إليها كل من الشيوعيين الروس أو الفاشيين الإيطاليين لأنها طرق غير دستورية تعمل للفوضى بدلا من النظام»[١٩].

والغريب فى الأمر أن سلامة موسى نفسه كان يتعرض فى هذا الوقت بالذات إلى هجمات شديدة.. ويتحدث سلامة موسى عن بعض هذه الهجمات التى صدرت فى كتاب بغير توقيع فيقول: «وسألت عن كاتبه فى إدارة المطبوعات فعرفت أنه ابن أخ رشيد رضا الصحفى السورى المعروف الذى وفد على بلادنا كما تفد الطواعين وخص نفسه بشتم الشبان المصريين واتهامهم بالإلحاد والشيوعية..».

وبعد أن يورد سلامة موسى نماذج من الشتائم التى كالها له الكاتب يقول: «وهكذا بحيث إنك تحتاج إلى أن تغسل يديك عقب قراءة هذا الكتاب.. وقد تناولنا هذا السورى السافل بتهمة الشيوعية والدعاية لها. فوضع نفسه بالموضع الذى يستحقه وهو موضع الجاسوس على الناس يفترى عليهم كى يؤذيهم».

وإذا كان سلامة موسى قد كتب هذه الكلمات فى نفس العدد السابق من «المجلة الجديدة» بدا واضحا لنا كيف أن العناصر الرجعية كانت تتعقب الكتاب الديمقراطيين والتقدميين بالاتهامات وتحاصرهم بها وقد لا يجد البعض منهم سبيلا للدفاع عن نفسه إلا بالمشاركة فى نفس حملة الهجوم.

والحقيقة أن الرجعية المصرية قد استخدمت سلاح الدين استخداما ذكيا فى هجومها ضد التيار الاشتراكى فقد اكتشفت من تجربة السنوات السابقة أنها مهزومة لا محالة فى أى نقاش متزن حول موقف الدين الإسلامى من الاشتراكية، وقد نجح الاشتراكيون بالفعل فى إفحامها وإسكات أعتى دعاتها وهو الشيخ التفتازانى مؤكدين أن مبادئ الاشتراكية لا تتعارض مع تعاليم الدين الإسلامى[٢٠].

وهكذا ركزت الصحف هجومها حول موقف الثورة البلشفية من الدين وامتلأت صحف هذه الفترة بمقالات عديدة مثل «روسيا تحارب الدين»[٢١] «القضية التركستانية – تعاضد الشعوب الإسلامية فى محاربة البلشفية»[٢٢].. ودعوات كثيرة تستنهض همم المصريين للدفاع عن مسلمى الاتحاد السوفييتى. ولعل أهم هذه الدعوات ذلك الكتاب الذى يحمل عنوان «مذكرات القادرى»[٢٣].

والقادرى شخصية غريبة يقول عن نفسه أنه «كردى الأصل قبل كل شىء ومسلم بعد ذلك»[٢٤].

وقد شارك فى قيادة الجيوش البيضاء ضد الثورة البلشفية وتولى قيادة أحد هذه الجيوش برتبة «ميجر جنرال» وقد صدره أعداء الثورة لهذه القيادة كسبيل لجمع مسلمى الشرق الاقصى ضد الثورة البلشفية، وتولى «القادرى» بعد ذلك وظيفة «المفتش العام لحكومة كردستان الجنوبية حتى عام ١٩٢٢.. ومع توالى هزائم الجيوش البيضاء هرب القادرى لمغادرة الأراضى السوفييتية وعلى الحدود قبض عليه الحرس الأحمر ليجد معه ثروة مقدارها «نحو ألف ليرة ذهبا ومقدار خمسين ألف روبل قيصرى»[٢٥] ولكنه استطاع الهرب ليعود إلى بغداد ليكتب مذكراته هناك.

وتستهدف كل صفحات هذا الكتاب تعبئة الشعور الإسلامى ضد البلاشفة وهو يختتم مذكراته هذه بصفحة عنوانها «كلمتى الأخيرة» يقول فيها:

«ولم تكن إحدى هذه الصدمات المادية التى وردت لحد الآن لتثنينى عن عزيمتى وتفنى همتى وتحولنى عن غايتى ومسلكى. بل أزال معتمدا على نفسى. وإنى مستعد أبدا لإكمال الخدمات التى بدأت بها فى روسيا بقصد إسعاد مسلميها ولا أزال مؤمنا بظهور حكومة روسية شرعية فى المستقبل تعترف للتتار بحقوقهم.. وما فتئت مستعدا لترويج أى فكرة قومية أو حركة وطنية تحدث فى روسيا بقصد تأسيس «روسيا المعتدلة» التى لا تفرق قطعا بين التتار وبين أبنائها البررة، كما أنى لا أزال منتظرا بكل جوارحى لأى نداء يدعو إلى حمل السلاح ضد البلشفية فى روسيا، ومستعدا تمام الاستعداد للرجوع إلى قيادة جنودى البواسل»[٢٦].

والحقيقة أن يقظة الرجعية المصرية واهتمامها بالبحث عن مثل هذا الكتاب ونشره فى مصر هو أمر يثير الدهشة ويوضح لنا عنف وعمق حرب الدعاية التى شنتها ضد الاشتراكية.

لكن الأمر لم يقتصر على قضية الدين فهناك مسألة الأخلاق والزواج وما نسج حولها من أكاذيب ومقالات مثل «فوضى الزواج فى روسيا.. جواز تعدد الأزواج والزوجات.. تجربة خطيرة تهدد النظام العمرانى»[٢٧].

وحملات أخرى تصور البلاشفة فى صورة جزارين سفاحين - فالسياسة الأسبوعية تنشر مثلا صورة تكتب تحتها الكلمات التالية، «جزار البشرية - ناصرولا إسمالوفا رئيس الشناقين البلشفيين فى قوقازيا ويبلغ عدد الذين شنقوا بيديه ٣٨٥٤ نفسا فى مدة وجيزة»[٢٨].

واللطائف المصورة تنشر خبرا يقول: «وفاة جلاد البلاشفة - جاء فى الأنباء من موسكو بأن شابين جلاد حكومة السوفييت السابق مات.. وكان عدد من أعدموا بيدى هذا الجلاد خمسمائة شخص وقد اشتهر بقتل المحكوم عليهم بعيار نارى واحد»[٢٩]. وتحت عنوان «من مظالم الشيوعية» تقول مجلة «كل شىء»: «يخطئ من يحسن الظن بالشيوعيين الروس ويستمع إلى تغنيهم بخيالاتهم الكاذبة فإن الواقع الذى دلت عليه الحوادث أنهم مثل القياصرة ظلما وعتوا بل هم أشد منهم فتكا بالشعب الروسى المسكين»[٣٠].

ومقالات عديدة أخرى تستهدف تقديم صورة وحشية وبشعة عن تلك الثورة التى تنبأوا لها بالانهيار. فتحت عنوان «هل آذنت شمس البلشفية بالأفول» تؤكد السياسة «لا ريب فى أننا اليوم نشهد احتضار النظام البلشفى»[٣١].

وإذا كان إعدام العاملين ساكوا وفانزيتى بأمريكا قد أثار موجة استياء فى أوساط عديدة من العالم فإن هذه المأساة قد استخدمت هى أيضا فى الصحافة المصرية كمادة للهجوم..

فتحت عنوان «مأساة فانزيتى الغرامية - ما الذى يجعل المرء شيوعيا» تروى «السياسة» قصة نسبتها إلى أخت فانزيتى تقول «إنه أحب فتاة لكن إخوتها أجبروها على دخول الدير حيث ماتت».

ثم تستخلص «السياسة» من هذه القصة النتيجة التالية: «ومنذ ذلك اليوم تحول قلب فانزيتى إلى حجر صلد وأعلن الحرب على المجتمع ونظمه المقررة»[٣٢].

والشىء المهم الذى أريد أن ألفت نظر القارئ إليه، هو أننى أكتفى دوما بمجرد أمثلة قليلة. ذلك أن حرب الدعاية كانت أوسع وأشمل من أن تدرس تفصيلا فى مثل هذه العجالة.

لكننا فقط نحاول أن نشير إلى اتساع هذه الحرب.. وإلى منطلقاتها الأساسية.

ويهمنا أن نلاحظ مسألتين مهمتين:

* أن الرجعية المصرية التى تظاهرت فى البداية بأنها ضد التطرف.. وأنها لا ترفض «الاشتراكية المعتدلة» قد انتهزت فرصة التراجع الذى عانت منه حركة اليسار المصرى لتسفر عن وجهها لترفض أى نوع من أنواع الاشتراكية، بل وترفض فكرة المساواة ذاتها.. وتؤكد فى سفور تمسكها بالنظام الرأسمالى كما هو «أن تكون أنت كما أنت، وأنا كما أنا، فالشكوى من هذه الحال لا تستند إلى شىء من الحق».

* أن الرجعية المصرية فى حربها ضد الاشتراكية قد ركزت نيرانها على النموذج السوفييتى محاولة هدمه فى العقول والقلوب كسبيل لإقناع الجماهير بفشل الاشتراكية فى التطبيق.

لكننا مع ذلك نخطئ لو تصورنا أن الرجعيين كانوا وحدهم فى ميدان الدعاية فلسوف نشهد فى فصل قادم كيف نجح اليسار المصرى فى شن حرب دعاية مضادة حققت نجاحا ساحقا.

الهوامش

(١) الاشتراكية.. تعوق ارتقاء النوع الإنسانى - مجموعة مجلة العصور لنشر المعرفة والآداب - مطبعة الترقى، سنة ١٩٢٧.

(٢) المرجع السابق ص٣.

(٣) المرجع السابق ص٤.

(٤) المرجع السابق ص٥.

(٥) المرجع السابق ص ١٢.

(٦) المرجع السابق ص ٨.

(٧) المرجع السابق ص٩.

(٨) مجلة الطليعة - مارس ١٩٦٥.

(٩) السيد محمد عفيفى البقلى. فوائد الثمرات الأحمدية فى المباحث الاقتصادية والسياسية. الطبعة الأولى - ١٩٢٥ - مطبعة المقتطف والمقطم.

(١٠) المرجع السابق ص٢٦.

(١١) المرجع السابق ص ٢٣٤.

(١٢) المرجع السابق ص٢٧.

(١٣) المرجع السابق ص٢٦٨.

(١٤) المرجع السابق ص٢٤٥.

(١٥) المرجع السابق ص٢٣٤.

(١٦) المرجع السابق ص١٨٩.

(١٧) كل شىء - ١٩٣٠/١٢/٢٠.

(١٨) الأهرام - ١ مايو ١٩٢٥.

(١٩) المجلة الجديدة - العدد التاسع - المجلد الأول - يوليو ١٩٣٠ ص١١٤٩.

(٢٠) لمزيد من التفاصيل راجع - د. رفعت السعيد - تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر - المرجع السابق - ص١٩٠ وما بعدها.

(٢١) المجلة الجديدة - يوليو ١٩٣٠.

(٢٢) السياسة الأسبوعية - ٢٥ يوليو ١٩٢٧.

(٢٣) الميجر جنرال صديق رسول القادرى - مذكرات القادرى - نقله إلى العربية القاسم العلوى - طبع على نفقة محمود حلمى صاحب المكتبة العصرية.

(٢٤) المرجع السابق ص٢٥٨.

(٢٥) المرجع السابق - ص١١٣.
(٢٦) المرجع السابق ص٢٥٦.
(٢٧) السياسة الأسبوعية - ٢ أغسطس ١٩٢٧.
(٢٨) السياسة الأسبوعية - ٢٥ أغسطس ١٩٢٧.
(٢٩) اللطائف المصورة - ١٤ فبراير ١٩٢٧.
(٣٠) كل شيء والدنيا - ٢٠ فبراير ١٩٣٢.
(٣١) السياسة الأسبوعية - ١٨ فبراير ١٩٢٨.
(٣٢) السياسة الأسبوعية - ١٠ سبتمبر ١٩٢٧.